المغالطة وقوانين الخطاب

(دراسة تطبيقية لمنتخبات من كتاب الأذكياء لابن الجوزي)

ط.د. نبيلة بوقرة
إشراف: أ.د ربيعة برباق
جامعة العربي التبسي- تبسة

تعد المغالطة تعميقا للدراسات الحجاجية التي لا قت اهتماما كبيرا من لدن الدارسين في عصر التواصل الذي نعيشه اليوم، خاصة في بعدها التداولي، فبإمكان المغالط استغلال خواص اللغة وقواعد الخطاب التي أرسى معالمها ثلة من فلاسفة اللغة العادية، في بناء مغالطات محكمة.

وستسعى هذه الدراسة للكشف عن هذه الأساليب المغالطية في علاقتها بقوانين الخطاب التداولية، وذلك بالاستناد إلى منتخبات تطبيقية مختارة من كتاب الأذكياء لابن الجوزي التي مثلت في اعتقادنا نموذجا عن اللغة العادية التي اعتمدت في التداولية الحوارية.

فماهي المغالطة؟ وكيف يتم بناؤها اعتمادا على قوانين الخطاب؟

الكلمات المفتاحية:

الحجاج-المغالطة- التداولية- مبدأ التعاون-قوانين الخطاب.

Astract :

The fallacy is a deepening of theargumentationstudies that have attracted greatattention Of the learners in the era of communication that we live in today ،especially in its pragmatic dimension, It is possible for the fallacious to usethe characteristics of language and the rules of speech

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

laid down by a group ofphilosophers of ordinary language, in the construction of the fallacies Court.

This study will seek to uncover these fallacious methods inrelation to the laws of discourse Based on selected practical team from Ibnal-Jawzi's book the smart ones Which in our opinion represented a model of theordinary language adopted in the debate.

What is the fallacy? How are they built depending on the laws ofspeech؟

Key words:

argumentation - fallacy - pragmatics - cooperative principle - the laws of speech.

المقدمة:

لم يعد موضوع الحجاج يمثل فقط ذلك الإرث الأرسطي القديم في مواجهة السفسطائيين وألاعيبهم في ظل المنطق وقياسه، بل أصبح ميزة العصر وسمة من سماته البارزة التي لا تنفصل عنه، وأكثر من ذلك فقد أصبح من المواد المهمة التي تدرّس في الجامعات الغربية والعربية على حد سواء.

وقد ساعد في هذا الحضور القوي للحجاج الاهتمام الكبير الذي أولته له النظريات اللسانية الحديثة، وفي مقدمتها التداولية التي أعادت للسياق مكانته الذي سلبته إياها البنيوية، فغدا الحجاج خاصية جوهرية من خصائص اللغة، ووظيفة من وظائفها، خاصة في التواصل اليومي الذي أصبح عصب الحياة في هذا العصر، يسعى فيه كل مخاطب إلى التأثير في الأخر وإقناعه، وفق شروط خطابية معينة تساعد المخاطَب على تأويل الخطاب وفهم المقصود، وقد حددها بول غرايس بدقة حاول

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من خلالها الوقوف على القواعد التداولية التي تحكم تفاعلاتنا الحوارية وخطاباتنا اليومية وتعاوننا في ما بيننا لتحقيق التواصل.

وهذا ما لا يتم دائما بصفة مثالية ونزيهة، فتُخرق قواعد الخطاب وقوانينه، فينزاح الحجاج عن مساره السليم إلى ما يُعرف "**بالمغالطة**"، فما هي المغالطة؟ وما علاقتها بقوانين الخطاب؟ وكيف يتم التغليط استنادا إلى هذه القوانين؟

1-في مفهوم الحجاج والمغالطة:

لا يمكننا التفصيل في موضوع المغالطة دون الوقوف على مصطلح الحجاج، لارتباطها الوثيق به.

أ-تعريف الحجاج:

ورد في كتاب العين، حج قدِم والحجّ كثرة القصد والحُجّة وجه الظفر عند الخصومة[1]، وفي لسان العرب: حاججته حِجاجا ومُحاجّة غلبته بالحجة وهي البرهان وما دوفع به الخصم ورجل محجاج أي جَدِل والتحاجّ التخاصم[2]، أي القصد والبرهان والتخاصم والجدل لدحض حجج الخصم.

أما في المعاجم الغربية فهو مقابل للمصطلح الأجنبي (Argumentation) الذي يعني فعل المحاجّة، أو مجموع التقنيات الخطابية التي ترمي إلى إثارة المستمع، أو إلى زيادة درجة التأثير فيه[3]، ويعود في أصله إلى الجذر اللاّتيني(Arguere) الّذي يعني جعل الشّيء لامعا وواضحا وظاهراً[4]، وبالتالي فهو يعني الوضوح والتأثير في المستمع.

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي،1985، كتاب العين، تح مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط1، العراق، وزارة الثقافة العراقية، ج2، ص16.

[2] ابن منظور1997، لسان العرب، تح عبد السلام هارون، ط1، لبنان، دار صادر، ص779.

[3] ينظر: Grand Larousse, 1991, France, Imprimerie Jean Didier, p193

[4] حافظ إسماعيلي علوي، 2010، الحجاج مفهومه ومجالاته (دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة)، ط1، الأردن، عالم الكتب الحديث، ج1، ص2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما في الاصطلاح فجل التعريفات تدور حول التأثير والإقناع من بينها أنّه: «درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التّسليم»[1]، أو أنه «نشاط إقناعي يتّخذ صورة خطاب، يقوم على الاعتقادات والوقائع؛ وتشكّله عوامل ذاتية واجتماعية ومعرفية، وتحدّد كفايته قدرات نصية وسياقية، ويشتغل كاستراتيجيات توظّف كلّ العوامل والقدرات ليكون الحجاج ناجعا وفعالا»[2].

فهو بهذا المعنى ممارسة عقلية لفكرة الإقناع[3]، وليس قوالب مسكوكة صالحة لكل المواقف، وتبقى فعاليتها واستقامتها رهينة بقصد المتكلم وكفايته اللّسانية والتداولية.

ب–تعريف المغالطة:

الغلط في اللغة خلاف الإصابة، والأغلوطة أي شيء يغالط به بعضهم بعضا[4]، وفي المعجم الوسيط:" غلط: أخطأ وجه الصواب وأغلطه: أوقعه في الغلط غالطه مغالطة، والأغلوطة ما يغالط به من الكلام المبهم"[5].

فالمغالطة إيقاع الغير في الغلط مع القصد إلى ذلك، وقد تكون بالكلام وبغيره من المسائل.

أما في الاصطلاح فيقابل مصطلح المغالطة في الثقافة الغربية ثلاثة مصطلحات، لكل منها مفهومه، وهي:

---

[1] عبد الله صولة، 2009،"الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج–الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكا، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، تونس، سلسلة آداب، جامعة منوبة، مج39، ص299.

[2] محمد طروس،2005، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ط1، الدار البيضاء، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ص161.

[3] حسن خميس ملخ وآخرون، الحجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2015، ص ج.

[4] أحمد بن فارس، 1972، مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، ط1، القاهرة، دار الفكر، ج4، ص390.

[5] مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 2004، المعجم الوسيط، ط4، مصر، مكتبة الشروق الدولية، باب الغين، ص658.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

-المصطلح الفرنسي(paralogisme) الذي يعني حجاجا خاطئا عن حسن نية[1].

-المصطلح الإنجليزي (fallacy) الذي يفيد جذره اللاتيني (fallacia) معنى الخدعة والحيلة وحتى السحر[2].

-ومصطلح السفسطة (sophisme)[3] الّذي يعرفه أرسطو على أنّه استدلال صحيح في الظّاهر معتلّ في الحقيقة[4]، وإلى ذلك ذهب باتريك شارودو ودومينيك مانغونو في تعريفهما للسفسطة على أنّها خطاب محرج كاذب تلاعبي وقياس مغالطي يخدم مصالح صاحبه وأهواءه[5].

وقد اعتمد رشيد الراضي في كتابه الحجاج والمغالطة، هذا المصطلح إلى جانب الحجة المعوجة، واعتبر العِوج الذي يلحق الحجّة في أسلوب عرضها، عيبا يزري بالفاعلية الحجاجية[6]، أي أن اعتماد الحجة المعوجة يعصف بالعملية الحجاجية برمتها.

[1] محمد النويري، 2009، "الأساليب المغالطية مدخلا في نقد الحجاج"، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، مرجع سابق، ص406.

[2] رشيد الراضي، 2010، "السفسطات في المنطقيات المعاصرة التوجه التداولي الجدلي"، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته (دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة)، ج2، ص779.

[3] تاريخيا تعد السفسطة (التي تفيد في معناها اللغوي الحكمة) حركة فكرية ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد، رفعت شعار الانسان مقياس كل شيء، وتنكرت لكل القيم الموضوعية والمعايير الثابتة في أمور الفكر والاعتقاد والسلوك، وانتهى بهم الامر الى الاعتقاد باللجوء الى الحيل الخطابية والتلاعبات القولية لتحقيق أهدافهم فمهروا في هذه الصناعة القولية وهذا ما اكسبها معنى قدحيا ظل يلازمها عقودا طويلة، ينظر: رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل الى العقل في الحوار، ص12 وما بعدها.

[4] رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة التوجه التداولي الجدلي، مرجع سابق، ص765.

[5] باتريك شارودو ودومينيك مانغونو، 2008، معجم تحليل الخطاب، تر عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دط، تونس، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، ص522.

[6] رشيد الراضي، 2010، الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل الى العقل في الحوار، ط1، لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ص7.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما إسماعيلي علوي فلم يميز بين المصطلحات الثلاثة وجعلها في تعريف واحد بقوله: «تعرّف المغالطة (sophisme, fallacy, parologisme) بأنّها استدلال فاسد أو غير صحيح يبدو كأنه صحيح، لأنه مقنع سيكولوجيا لا منطقيا على الرغم ممّا به من غلط مقصود[1]»، لأن المغالط يلجأ إلى الإيهام والتأثير النفسي عوض الحجة والإقناع.

وبهذا تكون المغالطة تلك الأنماط من الحجج الباطلة التي تتّخذ مظهر الحجج الصحيحة وتنحرف عن القواعد الضمنية التي تحكم شتّى أصناف التداول الحواري[2]، ونلاحظ أن هذا التعريف قد اتفق مع سابقيه في كون المغالطة حجاج مبني على الخداع والتضليل والحجة المعوجة، وأضاف إلى ذلك الانحراف والخروج عن القواعد الضمنية التي تحكم استعمالنا للغة، وهو ما ستركز عليه هذه الدراسة، فماهي هذه القواعد؟ وكيف يكون الانزياح عنها مغالطة؟

2-قوانين الخطاب:

اهتمت التداولية* على عكس الدراسات اللغوية والفلسفية السابقة بلغة الخطاب اليومي أو بما يعرف عند فلاسفة أوكسفورد باللغة العادية، أي ببلاغة التفاعل بين الأفراد في المحادثات في المقامات المختلفة[3]، ويعد بول غرايس (Paul Grice) من أبرز الدارسين الذين ساهموا في إثراء هذا التوجّه بوضعه مبادئ حوارية

[1] حافظ إسماعيلي علوي ومحمد أسيداه، اللسانيات والحجاج، الحجاج المغالط، نحو مقاربة بيانية وظيفية، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ح3، ص272.

[2] عادل مصطفى، 2007، المغالطات المنطقية (طبيعتنا الثانية وخبزنا اليومي)، ط1، مصر، المجلس الأعلى للثقافة، ص ص17 -20.

* هي البعد الثالث في سيميوطيقا موريس وهي دراسة اللغة في الاستعمال أو هي آلية تأويل في البحث اللغوي الحديث تأخذ في حسابها العناصر السياقية المختلفة المرتبطة بعمليتي الإنتاج والتلقي. التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، عيد بلبع، جسور للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2016 ص24.

[3] المرجع نفسه ، ص316.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مؤسسة لإنجاز عملية تواصل ناجحة في المحادثات بين الأفراد[1]، وطرح مفهوم الإضمار في الحوارات اليومية، الذي يبحث في كيفية فهم المخاطَب للمعنى الضّمني المقصود من الكلام والذي يفوق في أحايين كثيرة معناه الحرفي، في إطار دراسته لنظرية المعنى غير الطبيعي[2]. فمستعمل اللغة محكوم بقواعد عليه الالتزام بها، وهي مستمدة من المبدأ التعاوني العام، الذي يعرفه غرايس بقوله: « اجعل مساهمتك كما هي مطلوبة في الوقت الذي تتحدث فيه، وفي الغرض المتفق عليه، أو اتجاه التبادل المحادثاتي الذي تشترك فيه»[3]، ويستطيع المتلقي تأويل الملفوظات بقيامه باستدلالات غير برهانية لا تستند إلى قوانين اللغة والمنطق وحسب بل تتعدّاها إلى الأبعاد الفكرية والاجتماعية والنفسية التي يمثلها السياق، وقد تفرّع عن هذا المبدأ قوانين تحكم العملية الخطابية حدّدها فيما يلي:

أ-قاعدة الكم: (اعط مقدارا صحيحا من المعلومات) (Maxim of quantity)

- لتكن إفادتك المخاطب على قدر حاجته، بلا زيادة أو نقصان.

ب-قاعدة الكيف (اجعل إسهامك بما يكون حقا وصوابا) (Maxim of quality)

-لا تقل ما تعلم كذبه، وما ليست لك عليه بينة.

ج-قاعدة العلاقة (الملاءمة) (Maxim of revelance)

-ليناسب مقالك مقامك.

د-قاعدة الجهة (الطريقة) (Maxim of manner)

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2] جاك موشلار وآن ريبول، 2010، القاموس الموسوعي للتداولية، تر مجموعة من الباحثين من الجامعات التونسية، ط2، تونس، دار سيناترا، ص ص 211-212.

[3] نقلا عن: عيد بلبع، التداولية، مرجع سابق ، ص 317.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

-تجنب الغموض واللبس والإطناب وحافظ على ترتيب الكلام[1].

إلا أن الالتزام بهذه المبادئ لا يتم دائما بالشكل المثالي، فيتم خرق بعض هذه القواعد ويؤدي ذلك إلى إيحاء المتكلم بالإضافة إلى المعنى المباشر لمقولته بمعنى مضمن هو معنى الإضمار في المحادثة[2]، وهو ما يعرف أيضا بالاستلزام التخاطبي أو الحواري، وهو جزء من نظرية المعنى التي وضعها بول غريس والذي بحث فيه كيفية الانتقال من المعنى الحرفي إلى آخر ضمني مستلزم، هذا إذا التزم المتكلم التعاون وسعى إلى إيصال قصده إلى المخاطب، لكنه في حال قرر التنصل من هذه المبادئ فأن هذا الخرق قد لا يكون دائما عن حسن نية، وهنا يكمن السؤال، كيف تنشأ المغالطة و هل يمكن التمييز بينها وبين الاستلزام الحواري؟.

3-المغالطة وقوانين الخطاب في حوارات الأذكياء:

جمع ابن الجوزي في كتاب الأذكياء مجموعة متنوعة من الحوارات التي تنتمي في أغلبها إلى الحياة اليومية للناس عبر عصور مختلفة وفي مواقف متنوعة، وهي وإن كانت جميعها تمثل عملية التواصل بكامل عناصرها المتمثلة في المتكلم والمتلقي والرسالة وكذا الموقف الذي تمت فيه العملية التواصلية، فهذه العناصر ليست واحة في كل الحوارات وإنما يختلف المشاركون من تفاعل حواري إلى آخر، وهذا في حقيقة الأمر ما يميز هذه المدونة التراثية ورشحها أكثر من غيرها لتقصي المغالطات لا المنطقية وإنما التي تنشأ عن خرق مبادئ الحوار التي وضعها غرايس وعمقها في ما بعد ثلة من الدارسين تحت مسميات عدة.

[1] العياشي إدراوي، 2011، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ط1، الجزائر، منشورات الاختلاف.ص100.
[2] عيد بلبع، التداولية، ص318.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالإضافة إلى ميزة الذكاء التي سبغ بها ابن الجوزي أبطال مؤلفه والتي نجد في ثناياها خيط يربطها بالمغالطة التي من معانيها المكر والخداع، فكيف انبنت هذه المغالطات في كتاب الأذكياء وهل كل خرق لمبادئ الحوار والمحادثة يعد مغالطة؟ وهل كان كل المتحاورين متعاونين؟

أ- حوارات قائمة على التعاون:

الأصل في التواصل أن يتعامل الناس مع بعضهم البعض بنية حسنة، تروم الصدق وإفادة الآخر وهذا النوع حاضر بقوة في كتاب الأذكياء ومنه ما دار بين أبي جعفر المنصور ومعن بن زائدة، حين دخل هذا الأخير على الخليفة فقارب في خطوه فقال له أبو جعفر: «كبُرت سنك يا معن، فقال في طاعتك يا أمير المؤمنين، قال وإنّك لجلد، قال: على أعدائك، قال: وإنّ فيك لبقية، قال: هي لك»[1].

نلاحظ في هذا الحوار الذي جرى في مجلس الخليفة تعاون الطرفان، حيث كانت مشاركة الطرف الأول الذي لم يكن يستفهم وإنما كان يخبر عن معن بأمور بادية عليه وصحيحة ولم تزد عن الحد الذي يفرضه الموقف، فلم يخترق القواعد، لا من حيث الكم ولا الصدق ولا الإيجاز، فهو الخليفة وأراد أن يتلطف مع عالم جليل يكن له الاحترام. كما أن تعاون الطرف الثاني بدا جليا في ردوده أفعاله، فلم يقاطع محدّثه وجاراه في حديثه، موافقا على كل ما قال، فكانت كل أقواله مناسبة للموقف (مكانة الطرف الأول الاجتماعية والسياسية) فقد وقع تأثير متبادل بين الطرفين، وتمّ التفاعل بتعاون مُعن ورضا الخليفة عنه.

ب- حوارات قائمة على عدم التعاون:

لقد اعتاد الناس في تبادلاتهم الكلامية على التعاون اللاّمشروط مع محاوريهم بهدف الوصول إلى التفاهم بأقصر السبل وأيسر الطرق، لكن ماذا لو وقرّروا عدم

1جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي: الأذكياء، دار الجبل، ط1، لبنان، 1988. ص56.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التعاون؟، وهو ما سنقف عليه في هذا الحوار الطريف الذي بين أيدينا، على الرغم من بساطة الموضوع؛ كونه استفسار عن عمر أحدهم، فقد ورد في كتاب الأذكياء أنّ رجلا سأل هشام بن عمرو القرظي قائلا:

«كم تَعُدّ؟ قال: من واحد إلى ألف ألف أو أكثر، قال: لم أرِد هذا. قال: فما أردت؟ قال: كم تعدّ من السّنّ؟ قال: اثنتين وثلاثين سِنَّةً، ستة عشر من أعلى وستة عشر من أسفل. قال: لم أرد هذا، قال: فما أردت؟ قال: كم لك من السنين؟ قال: ما لي منها شيء، كلها لله عز وجل، قال: فما سنك؟ قال: عظم، قال: فابن كم أنت؟ قال: ابن اثنين، أب وأم، قال: فكم أتى عليك؟ قال: لو أتى عليّ شيء لقتلني، قال: فكيف أقول؟ قال: قل: كم مضى من عمرك؟»[1].

عادة إذا سألت أحدهم كم عمرك؟ يجيبك مباشرة عمري كذا، وهو ما لم يحدث مع هذا السائل المسكين، فكلما سأل كانت إجابة المسؤول أبعد ما يكون عن الموضوع، فتارة يتحدّث عن خبرته بعلم الرياضيات وأخرى عن أسنانه وعن والديه وحتى عن المصائب التي حلّت به، كلّ ذلك والسائل يحاول جاهدا أن يبلّغه مقصده من السؤال دون جدوى، حتى أصبح السؤال عن عمر أحدهم عملية شاقة تستغرق من الوقت والجهد الشيء الكثير، وهذا الجهد هو الذي توفّره قوانين التخاطب وجهود التعاون التي يجنح إليها المتحاورون، فكيف تعامل الطرفان مع هذه القواعد؟

الطرف الأوّل:

كانت مشاركات الطرف الأول عبارة عن استفهام وبالتالي فهو لا يحتمل الصدق أو الكذب، كما أنّه كان موجزا وواضحا ومناسبا، وبالتالي تم احترام كل القواعد.

[1] عبد الرحمان بن الجوزي، الأذكياء، ص127.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الطرف الثاني:

-قاعدة الكم: يلاحظ من مجموع مداخلات ابن القرظي أنه احترم هذه القاعدة وأجاب بدقة عن كل سؤال وُجِّه إليه.

- قاعدة الكيف: كل الإجابات التي قدّمها كانت صحيحة وهي من المعلومات البديهية التي لا يختلف عليها اثنان، وبالتالي فالقاعدة لم تنتهك.

- قاعدة الملاءَمة: يوحي موضوع الحوار بأنّ العلاقة بين الطرفين ليست وطيدة ومعرفتهما ببعضهما يسيرة، وهذا ما يجعل إجابات ابن القرظي غير مناسبة للمقام هذا من جهة ومن جهة ثانية الإفادات التي قدمها بديهية ولا تتطلب استفسارا كعدد الأسنان والوالدين، مما يجعلها غير مناسبة وبالتالي فالقاعدة لم تحترم.

- قاعدة الطريقة: مداخلات ابن القرظي تمّت كلها بلغة بسيطة واضحة وموجزة، والقاعدة لم تنتهك.

إن احترام قواعد التخاطب لا يتم بشكل مثالي -فعندها يكون التعامل مع اللغة في أضيق الحدود وهو الاستلزام الحواري النموذجي (المعنى الحرفي)، وفي هذه الحالة لا يحتاج السامع إلى إجراء أيّة استدلالات لتأويل كلام المتكلم، لكن التعاون يتم بتقصّي مقصود المتكلم واستثمار المعطيات السياقية حتى وإن تمّ خرق هذه القواعد من طرف المتكلم، وعلى العكس من ذلك نجد أن اللغوي هشام بن القرظي لم يخرق القواعد الخطابية، ولكنه أجاب بمعرفته وعلمه للغة وخباياها التي يجهلها السائل، وكان يعي جيدا قصده، لكنه أراد أن يُطرح السؤال بلغة سليمة تركيبا ودلالة ومعجما، فكان في كل مرة يجيبه على هذا الأساس غير مبال بما يقصده ولم يكن متعاونا بتأويل ملفوظاته، وركّز على سلامة اللغة (القواعد الشكلية) ففشل المتكلم في تحقيق هدفه لأن الثقافة المشتركة لم تكن واحدة، ونجح ابن القرظي في إثبات أهمية القواعد اللغوية في إنجاح التواصل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جـ–حوارات قائمة على المغالطة:

وهذه الحوارات هي جوهر هذه الدراسة وعليها المعول في تقصي المغالطة وعلاقتها بمبادئ الحوار، حيث يتم فيها خرق متعمّد لهذه القواعد، فيقول المتكلم شيئا ويقصد آخر، ومع ذلك يستطيع السامع فهم قصده وتأويل ملفوظه بطريقة سليمة، وهو ما يعبر عنه بالاستلزام الحواري، هذا إذا افترضنا سلامة القصد وحسن نية المتكلم، ومن كتاب الأذكياء نأخذ الأمثلة التالية:

«حدّثنا مبارك بن علي، قال: عرض شُريح ناقة لبيعها، فقال له المشتري: يا أبا أميّة كيف لبنها؟ قال: احلب في أي إناء شئت. قال كيف الوِطاء؟ قال: افرش ونم. قال: كيف نحاؤها؟ قال: إذا رأيتها في الإبل عرفت مكانها اعل سوطك وسر، قال: وكيف قوتها؟ قال: احمل على الحائط ما شئت. فاشتراها، فلم ير شيئا مما وصف، فرجع إليه، فقال: لم أر فيها شيئا مما وصفتها به، قال ما كذبتك، قال: أقلني، قال: نعم»[1].

أجاب صاحب الناقة، بشكل مناسب للمقام، وبوضوح وإيجاز، وبهذا يكون قد احترم قاعدتا المناسبة والطريقة كما أنّه لم يكذب لأنه عبّر بجمل إنشائية لا تحتمل الصدق أو الكذب، إلا أن كلّ إجاباته كانت زائدة عن حاجة السامع، أي أنه خرق قاعدة الكم، الأمر الذي جعل السامع يفهم أكثر مما قيل: فلما سأل عن لبن الناقة قيل له: احلب في أي إناء شئت، تجاوز المعنى الحرفي إلى آخر مستلزم مفاده أنّ لبنها كثير، وأوّل "إذا رأيتها عرفت مكانها اعل سوطك وسر" بأنّها سريعة، وأوّل "احمل على الحائط ما شئت" بأنها كالحائط في قوّتها، واشترى الناقة على ما حصّله من فائدة من كلام صاحبها، وهو الهدف الأساس الذي سعى البائع لتحقيقه، لو كانت الصفات الآنفة الذكر حقيقة وموجودة بالفعل في الناقة لقلنا أنه استلزام تخاطبي

[1] عبد الرحمان بن الجوزي، الأذكياء، ص63.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكفى، لكن عدم توفرها يوضّح لنا أمرا آخر وهو أن صاحب الناقة استغل الغموض الموجود في اللغة ومجازاتها ليحقق مآربه وما كان لينجح لو لا حسن نية المتلقي الذي افترض التعاون والصدق كما اعتاده من مستعملي اللغة فوقع فريسة سهلة لمغالطة البائع البارع .

المثال الثاني:

يصوّر لنا هذا الحوار جانبا من الحياة اليومية للناس الذين يجنحون إلى التعاون، ويستندون وبشكل عفوي إلى هذه القواعد لتبليغ مقاصدهم وفهم مقاصد محاوريهم، وهو الحوار الذي دار بين سيدنا إبراهيم (عليه السلام) وزوج ابنه، كما رواه ابن الجوزي عن ابن العباس حيث قال: «**لما شبّ إسماعيل تزوّج امرأة من جرهم، فجاء إبراهيم ولم يجد إسماعيل فسأل امرأته فقالت: خرج يسقي لنا، ثم سألها عن عيشهم، فقالت: نحن بِشرّ، في ضيق وشدّة، وشكت إليه، فقال: إذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له: يغيّر عتبة بابه، فلمّا جاء فأخبرته، قال ذلك أبي وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك**»[1].

نلاحظ أنّ هذا الحوار على بساطته الظاهرية، فقد أدّى إلى فكّ عرى واحدة من أهمّ العلاقات الإنسانية وهي العلاقة الزوجية، و–الضحيّة–فيه (الزوجة التي تم تطليقها) هي نفسها من نقلت الحكم الذي نفّذه زوجها وهو الطلاق، فلماذا غاب عنها قصد إبراهيم (عليه السلام) مع أنّها كانت جزءا من الموقف الكلامي وتلقّت الرسالة مباشرة من المتكلم؟ وفهمها إسماعيل (عليه السلام) مع أنّه لم يشهد الموقف وتلقّى الخطاب عبر وسيط؟ فأين يكمن الخلل الذي جعلها تنقل خبرا فصم علاقتها بزوجها؟ وأين تكمن المغالطة؟

[1] جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان بن الجوزي: الأذكياء، مرجع سابق، ص16.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للإجابة عن هذه الأسئلة ينبغي لنا ردّ الحوار إلى سياقه المقامي الذي يشمل هويّة المتخاطبين ومحيطهم الزماني والمكاني[1]، ثم ننظر في مدى تعاونهم في الخطاب وكيفية تشكّل المغالطة:

فالزمن زمن نبوة إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) والمكان بيت النبي إسماعيل أو بالأحرى (عتبته)، أما المتخاطبون فهم إبراهيم (عليه السلام) وزوج ابنه من جهة، وإسماعيل (عليه السلام) وزوجه من جهة ثانية، وقد جاءت مشاركتهم في الحوار كالتالي:

– ساهم إبراهيم (عليه السلام) في الحوار بأسلوب إنشائيّ تضمّن صيغتي الاستفهام والأمر (سأل المرأة عن زوجها وطلب منها تبليغ رسالة)، فلم يكن كلامه ممّا يستوجب الحكم عليه بالصدق أو الكذب، وقد أجابت هي بصدق عمّا سُئلت عنه وهذا يعني أنّهما احترما قاعدة **الكيف**.

– لكن هذا الصدق لم يشفع للمرأة في هذه العلاقة التخاطبية، لأنّ موضوع الحديث كان خاصّا ويتعلّق بما يجري داخل بيتها وإطّلاع الغرباء عليه أمر غير مستساغ في جّل المجتمعات، فضلا عن الشكوى إليهم من ضيق العيش، ولأنّها زوج نبيّ كان يجدر بها أن تصبر ولا تفشي أسراره، وهذا ما غاب عن هذه الزوجة فلم تدرك حجم ما اقترفت، وجعل مقالها غير مناسب لمقامها، وخرقت قاعدة **الملاءمة** واستوجبت العقاب الذي سيلحقها بعد نقلها الرسالة.

وهي القاعدة ذاتها التي خرقها إبراهيم (عليه السلام) بتغييره موضوع الحديث، من السؤال عن الزوج الغائب وأحوال الأسرة إلى أمر يتعلّق ببناء المنزل وهندسته، فاستطاع إسماعيل (عليه السلام) بفطنته أن يفهم المعنى الضمنيّ الذي خرج إليه

[1] فان ديك، 2001، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر محمد سعيد البحيري، ط1، القاهرة، دار القاهرة للكتاب، ص117.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكلام ويحدّد هويّة المتكلّم وقصده مع غيابه عن الموقف التواصلي، في حين لم تنتبه الزوجة إلى ذلك مع حضورها الموقف وتلقّيها الخطاب مباشرة من المتكلّم وهي-تقف معه على عتبة الباب موضوع الحديث-ففهمت من الحديث ظاهره وأمكن-تغليطها- لأنّ عبارة إبراهيم لم تكن واضحة بما يكفي واكتنفها اللّبس والغموض بخرقه **قاعدة الجهة**.

-وممّا ساعد على تغليط المرأة أنّ إبراهيم (عليه السلام) لم يعرّفها بنفسه في بداية الحوار، وإن لم يكن في ذلك خرق **لقاعدة الكمّ** لأنّ المرأة لم تطلب منه ذلك، إلاّ أنّ هذا الأمر قد حجب عنها جزءا من معطيات السياق، الذي كان سيمكّنها من إجراء بعض الاستدلالات الّتي ربما كانت ستجعلها تتردّد في نقل الخبر الذي سيؤدي إلى طلاقها لو فهمته وعلمت بشخصية مخاطَبها، فبعض المعلومات قد ترد مشفّرة لغويا وتُفكّ شفرتها بواسطة الاستدلال التداولي[1]، وهذا ما جعل المرأة تتيه عن مقصود سيدنا إبراهيم (عليه السلام) الذي نجح في تنفيذ استراتيجيته ومغالطتها بجعلها تنقل أمر طلاقها بنفسها، دون أدنى شكّ أو ريبة في الرجل الغريب الذي اختبر بهذا الحوار البسيط حسن تبعّلها وحفظها لغيبة زوجها النبي.

إنّ خرق قوانين الخطاب لا تنتج عنه المغالطة في كلّ الأحوال بل لابدّ من توفّر القصد إلى ذلك، فقد يخرق المتكلم بعض القواعد لكن ليبلغ قصده، كما حصل في حديث إبراهيم عليه السلام الموجّه إلى ابنه فحمل كلامه معنى مضمرا يعلم يقينا أنه سيفهمه، في حين كان تغليطا للمرأة لأنّه قصد ذلك.

وبالتالي يمكننا القول بأن المغالطة تتم بالخرق المتعمّد لقوانين الخطاب، وهي – أيضا – استلزام حواري لكن المتكلم يخفي فيه قصده الحقيقي، الذي يبقي التأويل الذي يقوم به المستمع رهين تعاون المتكلم، فلا يقدّم إلاّ ما صحّ من المعلومات، لأن

[1] جاك موشلار وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، مرجع سابق، ص30.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأصل في المعاملات بين الناس الصدق والإخلاص، و هو أمر نسبي يبقى المعول فيه على أخلاق الناس ومبادئهم و عقائدهم الدينية في تحريم الكذب وغيره من السلوكات التي تمجها الفطرة البشرية، وهذا ما لا يمكن التحكم فيه بالاعتماد على اللغة وقوانينها وحدها حتى وإن كانت تداولية مرتبطة بالسياق والمقام، وهو الأمر الذي أظهر قصور مبدأ التعاون-الغرايسي- فتم نقده وتعميق البحث فيه من طرف ثلة كبيرة من العلماء.

الخاتمة:

خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج نجملها في النقاط التالية:

-من المنظور التداولي الحجاج وظيفة جوهرية في اللغة.

-الحجاج لا يعتمد دائما على سلامة الحجة واستقامتها فقد يخرج عن ذلك إلى المغالطة.

-المغالطة حجاج فاسد، لكنه لا يعتمد دائما على الحجج فقد يلجأ المغالط إلى ألعاب اللغة وقوانينها فيخرقها في سبيل أهدافه.

-ليس كل خرق لقوانين الخطاب مغالطة فالاستلزام التخاطبي الذي ينتقل فيه المتلقي من المعنى الحرفي إلى الضمني هو أيضا خرق لهذه القواعد.

-المغالطة وفقا لنظرية غريس في المعنى استلزام تخاطبي تعمد فيه المتكلم الاحتيال على مخاطبه بإخفاء قصده الحقيقي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن منظور، لسان العرب، تح عبد السلام هارون، ط1، دار صادر، لبنان،1997.
2. أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، ط1، دار الفكر، القاهرة، 1972، ج4.
3. باتريك شارودو ودومينيك مانغونو، معجم تحليل الخطاب، تر عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دط، تونس، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس، 2008..
4. جاك موشلار وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر مجموعة من الباحثين من الجامعات التونسية، ط2 ، دار سيناتر، تونس ، 2010.
5. حافظ إسماعيلي علوي ومحمد أسيداه، اللسانيات والحجاج، الحجاج المغالط، نحو مقاربة بيانية وظيفية، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ح3.
6. حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته (دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة)، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010، ج1.
7. حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته (دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة)، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010، ج2.
8. حسن خميس ملخ وآخرون، الحجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2015.
9. الخليل بن أحمد الفراهيدي،1985، كتاب العين، تح مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط1، العراق، وزارة الثقافة العراقية، ج2.
10. رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل الى العقل في الحوار، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، 2010.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

11. عادل مصطفى، المغالطات المنطقية (طبيعتنا الثانية وخبزنا اليومي)، ط1، مصر، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2007.
12. عبد الله صولة، "الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج-الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكا، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، تونس، سلسلة آداب، جامعة منوبة، 2009، مج39.
13. العياشي إدراوي، 2011، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2011.
14. جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي: الأذكياء، دار الجبل، ط1، لبنان، 1988.
15. عيد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، جسور للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2016.
16. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 2004، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004.
17. محمد النويري، "الأساليب المغالطية مدخلا في نقد الحجاج"، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، تونس، سلسلة آداب، جامعة منوبة، 2009، مج39..
18. محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ط1 ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ، الدار البيضاء، 2005.
19. فان ديك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر محمد سعيد البحيري، ط1، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، 2001.
20. Grand Larousse, 1991, France, Imprimerie Jean Didier.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com